جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة –

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

السنة الجامعية 2023-2024

مقياس: المجتمع الجزائري وفعالياته **د/ فهيمة عمريوي**

السنة الثانية ماستر

المحاضرة الرابعة النشاط الحرفي بالجزائر أثناء العهد العثماني.

مقدمة

عرف النشاط الحرفي في الجزائر أثاء العهد العثماني تنظيما محكما وتجسد ذلك في مخطوط قانون أسواق مدينة الجزائر لمتولي السوق ابن الشويهد فكما وجد قانون لتنظيم الجانب العسكري وجد قانون خاص بالجانب الاقتصادي وهو ما يدخص أراء الكتابات الأوروبية التي اعتبرت أن العثمانيين حكموا الإيالة بطريقة عشوائية.

تنظيم الحرف: تميزت بالدقة وحسن التسيير وتمثل هذا التنظيم في عدة وظائف هي:

أمين الأمناء:

هو المشرف الأول على كل الجماعات الحرفية والعناصر الوافدة على المدينة كما يعد الوسيط بين الحاكم والقاضي من جهة والطوائف الحرفية من جهة أخرى وتعد عائلة الشويهد من أهم العائلات التي تولت منصب أمين الأمناء وتوارثته من أوائل القرن السابع عشر إلى نهاية النصف الأول من القرن الثامن عشر ومن العائلات الأندلسية الأخرى التي تولته نذكر عائلة بن عمر منهم محمد بن أحمد بن الحاج عمر. وأيضا تولته عائلة إبن حساين.

الأمين

يشرف على جماعة حرفية معينة ولكل جماعة أمين يمثلها ماعدا جماعة الجيجلية لها أمينين أمين جماعة الجواجلة وأمين الكواشين من الجواجلة. للأمين مهام متعددة اقتصادية واجتماعية منها: المشرف الأول على الحرف والسهر على حسن تسييرها وجودة البضائع وتطبيق مبدأ المساواة بين أعضاء جماعته كما أن المنصب لم يكن محدد بفترة زمنية معينة.

الشاوش:

يتم اختيارهم من المعلمين، تتمثل مهمتهم في مساعدة الأمين وبالتالي فالشاوش هو الناطق الرسمي للجماعة ويقوم مقام الأمين في حالة غيابه.

الخوجة:

هو أيضا أحد مساعدي الأمين، وكان بمثابة الكاتب الذي يسجل كل القضايا المتعلقة بالجماعة.

الكاهية:

يندرج ضمن مساعدو الأمين، وله دور بارز في إدارة الجماعة وقد انفرد بهذا المنصب جماعة البنائين. وعقود المرافعات إلى المجلس العلمي تتضمن معطيات هامة عن الأسماء التي تولت المنصب.

الصايجي أو العداد:

هو موظف يشرف على الجانب المالي من حسابات ومصاريف **الرفقاء:** ومهمتهم مساعدة الأمين في تسيير شؤون الجماعة.

التنظيم الهرمي للحرف:

تقتضي ممارسة النشاط الحرفي المرور بعدة مراحل تبدأ بالمتعلم أي المبتدأ في الصنعة، ويأتي في أسفل الهرم، وبعدها يصبح صانع أي من يحسن الصنعة دون الوصول إلى اكتساب مهارة المعلم وشكل الصناع أعلى نسبة من المشتغلين في الورشة فهم أكثر عددا من المعلمين والمتعلمين. ولما يكتسب الصانع الحرفة يرتقي إلى المعلم حيث يصبح رئيس ورشة الذي يشتغل تحت أوامره الصناع. ومن المهم الإشارة لوجود مصطلحين مصطلح المعلم الذي كان متداولا عند العناصر المحلية ومصطلح الأوسطا المستعمل من قبل الأتراك والكراغلة والأندلسيين.

العلاقة بين السلطة والتنظيمات الحرفية:

تمثلت في الرقابة الدائمة للسلطة وتدخلها في شؤون التسعير وغيرها وكان من أولوياتها تحديد الحد الأدنى للأسعار لتفادي حدوث أزمات التموين بمختلف المواد الاستهلاكية والخدماتية. ويتضمن قانون الأسواق معطيات هامة عن حضور السلطة وتدخلها في عدة قضايا منها تحديد الأسعار والضرائب المفروضة على الجماعات الحرفية. وغيرها، ومن المهم الإشارة أيضا إلى أن رقابة التنظيمات لعدة مستويات من السلطة فإضافة إلى السلطة السياسية نجد رقابة السلطة الدينية التي كانت بمثابة وصية على شؤون الحرف، والسلطة المحلية بمستوياتها المختلفة شيوخ البلد وأمين الجماعة وأمين الأمناء.

النشاط الحرفي.

ازدهرت عدة حرف بالجزائر أثناء العهد العثماني ولعل أهمها صناعة المنسوجات كما وجدت حرف أخرى منها الدباغة وتجدر الإشارة هنا إلى هذه الحرفة في مدينة الجزائر لم تبلغ مثيلتها في قسنطينة نظرا لتوفر الناحية الشرقية على مادة الجلد اللازمة لهذه الحرفة.

صناعة السفن:

توفرت أغلب المراسي الجزائرية على ترسانات مجهزة لصناعة السفن والقوارب أهمها: مرسى الجزائر وشرشال وجيجل وعنابة حيث كان يتم صنع سفن تزيد حمولتها عن 300 طن، كما اختص مرسى الجزائر على صناعة السفن ذات المقدمة المستديرة. وقد تراجعت هذه الصناعة لعدة أسباب أهمها انقطاع التجهيزات البحرية التي كانت ترسلها الدول الاسكندنافية للجزائر في إطار الإتاوات والهدايا كالحبال والأخشاب والأشرعة.

صناعة الأسلحة

وتتمثل في صنع البنادق وسبك المدافع وتحضير البارود الذي كان يصنع بعض المدن كقلعة بني راشد وقسنطينة والجزائر ففي هذه الأخيرة يوجد مصنع للبارود واقع خارج باب الوادى وأخر لصنع المدافع والقنابل خارج باب الوادي أيضا ويعرف بدار النحاس، إضافة إلى وجود عدة ورشات لصناعة البنادق في كل من بني راشد وجرجرة وميزاب وبوسعادة.

ومن بين الحرف الخاصة بالأسلحة نذكر الجقماقجية أي صانع الأسلحة وبائعها والقنداقجية أي صانع الخشب الموجه لصناعة الأسلحة .

صناعة الشاشية

كما وجدت حرفة القاوقجية أو صناعة الشواشي واختص بها العنصر الأندلسي، ومن العائلات الأندلسية التي اشتهرت نذكر عائلة وناطيرو، ومنذ أواسط القرن الثامن عشر تراجعت هذه الحرفة بسبب منافسة الشاشية التونسية لها. حيث لاحظ برادي أن شاشية الجزائر لا تبلغ إلا نصف ثمن شاشية تونس نظرا لجودة هذه الأخيرة.

صناعة الحلي (الصاغة)

تعد من الصناعات التي سيطر عليها اليهود بشكل كبير كما مارسها بعض الحضر من الأندلسيين وفي مدينة الجزائر نجد أن سوقها كان يقع في مركز الفعاليات الاقتصادية، كما اشتهرت بها قسنطينة وعدد من حواضر بايلك الغرب كتلمسان وندرومة إضافة إلى معسكر ومستغانم وكان مازونة أهمية خاصة في هذه الصنعة هذا واشتهرت منطقة القبائل بالصناعة الفضية.

الصناعة النسيجية

عرفت الصناعة النسيجية وكذا الصناعة الجلدية انتشارا واسعا في الجزائر خلال الفترة العثمانية خاصة في حواضر بايلك الغرب الجلود وكان بإمكان هذه الفروع من الأنشطة الحرفية أن تتوسع إلى درجة أكثر مما هي عليه، لأن إنتاج المصنوعات النسيجية والجلود قد تجاوز تلبية السوق المحلية والاكتفاء الذاتي، ليُسوق إلى الخارج، وتأتي تلمسان في مقدمة حواضر بايلك الغرب إنتاجا للصناعات النسيجية ثم تأتي مازونة حيث كانت تتوفر على ما يزيد عن 1400 آلة نسيج بالمدينة فقط بدون احتساب ما كان يوجد بضواحيها وأحوازها. كما توفرت ندرومة على ما يزيد عن 25 محلاً للنسيج واشتهرت بهذه الصناعة أيضا مدينة معسكر حيث كانت منتوجاتها مطلوبة عبر مناطق بعيدة وذلك نتيجة الجودة والكمية. أما توفر هذه الصنعة في مستغانم فيعود في الأساس لازدهار زراعة القطن بضواحي المدينة منذ مطلع القرن 16م.

عموما عرفت الصناعات النسيجية في بايلك الغرب تنوعا في الإنتاج شمل كل من الفروع القطنية والصوفية، كما عرفت هذه الصناعات استعمال ألوان متنوعة، وكان النساء هنّ اللّواتي يقمن بغزل الصّوف وتحضيره بصفة عامة، وكانت أكثرها جودة تلك المغزولة بدرجة رفيعة (الرقيقة) حيث كانت تستعمل هذه الأخيرة في الحياك والألبسة الفاخرة، والخشنة في الأغطية والزّرابي؛ إنّ درجات الغزل كانت تحدد الاستعمال.

صناعة الأحذية.

ومن الحرف الرائجة في الجزائر أثناء العهد العثماني صناعة الأحذية بمختلف أنواعها أهمها البابوج ويسمى ممتهنها بالبابوجي وهي نوع من الأخذية بدون عقب، لها سوق خاص يعرف سوق البابوجية في قسنطينة وفي مدينة الجزائر أيضا. ومما يلاحظ هيمنة العنصر التركي بشقيه المدني والعسكري طوال الفترة العثمانية على هذه الحرفة، حتى أن أمانة حرفة البابوجية انحصرت في الجيش دون سواه ويعود استئثار الجيش بهذه الحرفة لكون الصنعة أتى بها الأتراك إلى الجزائر لذلك ظلوا حريصين على بقائها في أيديهم. ونجد أيضا البشماقجية أي أحذية البشماق يمارس في سوق البشماقجية، كما وجد سوق يعرف بالتماقين الخاص بصناعة الأحذية الرجالية. وأيضا المقفولجية وهم المختصون بصناعة الحذاء المعروف بالمقفول وضمن صنعة الأخذية بشكل عام تدخل حرفة السمارة أو الإسكافي غير أن الوثائق تذكر فقط المصطلح الأول.

الأفران والمطاحن

توفرت الجزائر على عدة أفران لتحضير الخبز، وقد احتكرها بني ميزاب بشكل خاص، وأيضا الكوشات التحضير الخبز واختص بها العنصر الجيجلي حيث حملت بعضها اسم هذه الجماعة – كوشة الجيجلية- وتفيض الوثائق بأسماء الكوشات ففي مدينة الجزائر نذكر كوشة الوقيد كوشة الفار وغيرها. إضافة إلى توفر المطاحن في مدينة الجزائر وبايلكيها ففي بايلك كانت المطاحن منتشرة عبر كلّ

هذه المدن، وغالبا ما كانت تقع خارج المدينة كمطاحن مدينة مستغانم، وكانت هذه الوحدات الإنتاجية تحت مراقبة البايلك. أما التموين بهذه المواد فكان يتم بواسطة مطاحن الباي.

حرف أخرى

إضافة تجفيف الفواكه وتقطير ماء الورد وعصر الزيتون الذي عرفت به منطقة جرجرة والصومام، واشتهر سكان مليانة بتحضير المربى من اللوز وعصير العنب.

وبخصوص الصناعات التحويلية نذكر منها: تحضير مواد البناء وتذويب المعادن وصك العملة. وكذا صنع المواد الفخارية والأواني والزليج الملون والمطلي بالغراء في كل من ندرومة وتلمسان وشرشال وميلة. وتعتبر منطقة بني يني وبني عباس من أهم المناطق لصناعة الحلي من الفضة والأسلحة النارية.

ومن الحرف الأخرى نجد حرفة صناعة الصابون ويعرف ممتهنها بالصابونجي، واختصت بها بعض المدن مثل قلعة بني راشد وبوسعادة ونواحي تلمسان وجرجرة. وأيضا الحياكة والرتايعية هي صناعة الحبال المخصصة لربط الخيول ويسمى ممتهن هذه الحرفة بالرتايعي والحلاطجية وهي التطريز على الجلد والحلامجية أي معلم الحمام. والدخاخنية أي صانع الدخان وبائعه.

مميزات عامة النشاط الحرفي بالجزائر أثناء العهد العثماني وتتمثل فيما يلي.

- التنظيم الداخلي الدقيق والمحكم
- اعتمادها على المواد المتوفرة في البلاد كالأصواف والجلود والأخشاب ومختلف المعادن كالنحاس والحديد والفضة والرصاص.
- اقتصارها على تلبية حاجات السكان المحلية دون التوجه إلى تصديرها للخارج.
- صناعة كمالية تتميز بدقة الصنع كالأحزمة والحلي وتميزت أيضا ببساطتها مثل الأدوات الفخاري و والخشبية والطينية والصوفية.

أسباب تراجع النشاط الحرفي في أواخر العهد العثماني:

عرفت الجزائر منذ أواخر القرن الثامن عشر تراجع في النشاط الحرفي لعدة أسباب منها:

- ثقل الضرائب المفروضة على أمناء الحرف منها ضريبة وضريبة فكان مثلا يفرض على الصناع تزويد البايلك بالمواد المصنعة مثل الحدادين في مليانة كانوا مطالبين بإمداد الوجاق بما يحتاجه من أسلحة وسروج.
- انخفاض مردود الحرفين فالبايلك كان يحدد مسبقا سعر بعض المصنوعات وتدفع لهم بالمقابل أجور زهيدة، كما أن موظفي البايلك كانوا يدفعون أسعار جد زهيدة للعمال بقلع

الحجارة خارج باب الواد. كما أن صناع الأحذية لم يدفع لهم البايلك مقابل شراء إنتاجهم سوى نصف درهم عن زوج أحذيو مخصصة للجند المشارك في الحملات العسكرية.

- منافسة المصنوعات الأجنبية حيث شجع الحكام على الاستيراد من الخارج مما حد من انتشار المصنوعات المحلية فمثلا مدينة تلمسان أصبحت في أوائل القرن 19 مخزنا لبضائع تجار فاس وقسنطينة مستودعا لصنعة الشاشية التونسية.
- تراجع دور أمناء الجماعات الحرفية بحيث أصبحوا في أواخر العهد العثماني يهتمون بإرضاء الحكام والموظفين السامين. ومما تزاد من تراجع إسناد منصب أمين الحرفة لمن ليس لهم دراية بشؤون الحرفة.
- الاعتماد على العمال الأجانب في بعض الصناعات الأساسية مثل صناعة الأسلحة وبناء السفن وصك النقود التي منحت لليهود. فصناعة السفن أوكلت إلى القرصان سيمون دانسا في القرن السابع عشر ثم إلى الفرنسيين والمالطيين والاسبان.